

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[34] لِمَ لَمْ تَرِدْ بِقِيَةِ صِفَاتِ الْإِخْوَانِ فِي الْبِسْمَلَةِ؟ في البسمة ذكرت صفتان
فقط هما: الرحمانية والرحيمية، فما هو السبب؟ الجواب يتضح لو عرفنا أن كل عمل ينبغي
أن يبدأ بالاستمداد من صفة تعم آثارها جميع الكون وتشمل كل الموجودات، وتنقذ
المستغيثين في اللحظات الحساسة. هذه حقيقة يوضحها القرآن إذ يقول: (وَرَحْمَتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) (1)، ويقول على لسان حملة العرش: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ
رَحْمَةً) (2). ومن جانب آخر نرى الأنبياء وأتباعهم يتوسلون برحمة الله في المواقف
الشديدة الحاسمة. فقوم موسى تصرعوا إلى الله أن ينقذهم من تجرّ فرعون وظلمه، وتوسلوا
إليه برحمته فقالوا: (وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ) (3). وبشأن هود وقومه، يقول القرآن:
(فَأَنزَلْنَا هُدًى لِّهُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) (4). من الطبيعي أننا - حين
نتضرع إلى الله - نناديه بصفات تتناسب مع تلك الحاجة، فعيّس (عليه السلام) حين يطلب من
الله مائدة من السماء، يقول: (اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ
السَّمَاءِ... وَارزُقْنَا وَأَنْزِلْ خَيْرُ الرِّزْقَيْنِ) (5). ونوح (عليه السلام)
يدعو الله في حط رحاله: (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزِلًا مُبَارَكًا وَأَنْزِلْ خَيْرُ
الْمُنْزِلِينَ) (6). وذكريا نادى ربه لدى طلب الولد الوارث قال: (رَبِّ لَا تَذَرْنِي
فَرْدًا وَأَنْزِلْ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) (7).

1 - الأعراف، 156. 2 - المؤمن، 7. 3 - يونس، 86. 4 - الأعراف، 72. 5 - المائدة، 114. 6 -
المؤمنون، 29. 7 - الأنبياء، 89.